أوليست هذه غربة الرجل الكبير في عالم صغير؟

لكن فيض الأسى الذي يغمر **غربة الراعي** لا يحجب عن أعيننا صورته حين ولد، وكيف انتشرت إشاعة في القرية بين النّاس مفادها أنّ المولود مبارك.

هذه الإشاعة انطلقت دون أن يعرف أحد مصدرها، وراحت «ترعى» صحّارتي البندورة فوق ذلك البغل الشديد الحران، الذي يسوقه والد المولود، في طريقه إلى حيفا، فتتناثر الحبّات، فيجمعها معفّرة بالتراب، لكنّه أخيراً يبيعها بثمن غال قبل الآخرين. وتأكّدت هذه الإشاعة بحادثة طيبة أخرى، حين اشترى ابنُ خاله ورقة يانصيب باسم المولود، فكسبت ثلاثة جنيهات كاملة. هذه الإشاعة أصحبتْ جزءاً حقيقياً من سيرة هذا الرّاعي الكبير، لا لشيء إلاّ لأنّ في البركة معنى العطاء في أجمل صوره من منظورنا الشعبي: العطاء المقرون بالسموّ، والارتفاع عمّا هو أرضي، ولأنّ المبارك يعطي دون أن يأخذ دائماً، لكنّ ذلك كلّه لا يدفع الأسى عن القلب.

تبدو **سيرة الراعي** في كلّ محطّاتها، هكذا. لكأنّه حيثما مرّ، ترك الخضرة آثاراً لخطاه، ولم يفكّر لحظة أن يتوقّف ليرتاح من ذلك الامتداد الموحش المترامي أمامه. كما أنّه لم يفكّر بالعودة، ولم يكلّ وهو يشدّ تلك الإشاعة الطيّبة من غيبها ليحوّلها إلى منهاج عمل واقعي من دم وحلم وإصرار فذّ على الوقوف إلى جانب كلّ ما هو حرّ وجميل ومبدع في حياتنا الثقافية العربية ورعايته، وفي حياة أولئك المحظوظين الذين أسعدهم الزمان بمعرفته عن قرب.

ولأنّ **سيرة الراعي** هي سيرة إنسان بالغ الشفافية، وتوأم للمعرفة في صعودها إلى أنبل درجات الحق – العلم... ولأنّها سيرة عطاء، فإنّ لها الحقّ كلّه في أن تعود إلى ما تريد، وتتأمّل الرحلة – الغربة، ويعبرها هذا الأسى كعتاب للروح وهي تخذل روحها.

كلّ ما هو فرح في **غربة الراعي** قد حاكه لنا إحسان عبّاس بيدين ماهرتين وقلب كبير. أمّا الأسى البشري فهو قائم أبداً في نقطة التقاء الجسد بالأرض، ويزداد كلّما أدرك صاحب الجسد قيمة التحليق.

عمان

قصة قصيرة قصة قصيرة قصة قصيرة قصة قصيرة قصة قصيرة قصة قصيرة قصة قصيرة قصة قصيرة قصة قصيرة

هذيان القرى المتوحشة

عروبة المدلل

عصا أولى...

لأنّني ولدتُ يوماً في أرض مالحة.. صبغتني بسحنتها، وأثقلت أساريري بحزن عميق، وظلال متوحشة. في جوفي قلب آخر ينبض شهوره الأولى، صراع التكون.. امتصاص قوة العمر.. مرّةً رأيته يخرج من بطن أمّي.. شعرتُ بقذارته، كان مدمّىً يبعث على الغثيان... اللعبة: قبل قليل كنت داخلها.. خرجتُ وحيدةً، محمولة على التأمّل والصمت، لتنساب تلك القرى المتوحّشة البعيدة بهذياناتها نحو ذاكرتي...

عصا أولى: عند الوقوف قبالة وجه جارنا الشرس الحقير الذي أنزل سرواله، ووقف يتبول.. عصا أخرى: ملأتُ قهوة أبي المسائية.. قدمتها له.. فانسكبت فوق قميصه الأبيض.. عصا سادسة: وشّمتُ حرفاً لاسم من أحببت في أعلى يدي، وارتديتُ ملابسي بأكمام طويلة. لكنّه رآهُ.. حين نبضتْ روحه الأولى في بطني كنت «أتوحّم» وَحَماً غريباً... أحب كل الأشياء.. الأكلات.. الأمسيات وأكره وجه أبي صباحاً.. حين يتوضّأ للصلاة، وتتقاطر حبّات الماء من جبينه الفضّي.. حبّات من الماء: .. أشعرها آسنة...

العصا خلفي الآن.. العصا أمامي.. العصا بجانبي الأيمن.. الأيسر، تحتويني جحافل من العصا.. سحقاً لا تضربني!! إنها مائلة... أبي.. آلاف الآباء لي آلاف العصا تحاصرني بعيونها القطنية.. ريح عاصفة تحمل قلبي من خلف القضبان القصبية.. هل ولدتُ بلحمٍ حرّ؟. قلت إنّي من أرض مالحة وأمي كانت طيبة، هذا كل ما يمكنني قوله الآن.. أبي: «لا تخرجي بدون أحجبتك العشرة..» سبق وضربني ملياً.. وحين ينتهي من احتفاله هذا يقول: «التّربية تبدأ منذ نعومة الأظافر..».

أُطبطب على صدر أختي الصغيرة الذي احمرّ من الضرب.. وحيدةً تقطعُ مسافات التحدّي المرّ.. يصرخ للمرّة الأخيرة: «العاهرة فضحتنا!! لو علمت أنّها ستهربْ.. لقتلتها..».

عصا أخيرة: في ذهني صورة أخرى للفضيحة تتشكّلُ حرّةً.. هكذا أخبرتني حين عادت بعد عشرين عاماً. حين هزل أبي. وأصبح شيخاً، وحيداً لا يطلب سوى الرحمة والجلوس معه في أمسيات خريفه الأخير..

الناصرية (العراق)